مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 10 العدد 01 السنة 2009 ص ص 115-127

الحركة العمالية في مواجهة الاحتلال – اضراب عمال ميناء سكيكدة (Philippeville) يومي 09/30 و 1961/10/01 ردا على جرائم الاحتلال الفرنسي

أ/ علال بيتور
جامعة الجزائر

ملخص.

يعتبر الاضراب نوعا من أنواع النضال السياسي في فترة الحركة الوطنية، ويعتبر جهادا لا يقل عن حمل السلاح، في الفترة الممتدة من 1954 إلى 1962، حيث كان الاحتلال يواجه الاحتجاجات العمالية بالرصاص والنار، وبالقتل والاعتقال، والشواهد كثيرة. زمن ضمن العمال الجزائريين الذين خاضوا حركات احتجاجية، واضرابات كثيرة، عمال الموانئ (الدواكرة) في المدن الساحلية.

ننعرض هذه الورقة لإضراب عمال ميناء سكيكدة سنة 1961، بعد جريمة اقترفها جنود الاحتلال ضد موكب جنائزي سلمي، راح ضحيتها أربعة شهداء، وعشرات الجرحى.

الكلمات الدالة:

عمال الميناء (الدواكرة) الاضراب، سكيكدة، الجيش الفرنسي، مسيرة سلمية.

مفهوم الاضراب:

نشأ مفهوم الاضراب نتيجة الانقلاب الصناعي الذي حدث في القرن الثامن عشر، حيث تعرض العمال لكافة أنواع العذاب والحرمان والاستغلال.[1] و كلمة: إضراب هي ترجمة لكلمة (Grève) وهي اسم لساحة في باريس، أين كان يجتمع فيها العمال العاطلون، وتعني استخدام أول قادم إلى هذه الساحة.[2]

ويعرف الاضراب على أنه مقاومة يبديها العمال من أجل تغيير أو تعديل أو تحوير القوة التي تسمح لهم بمطالب معينة وفق تكتيكات خاصة. وقد كان المفهوم مقتصرا على المجال الصناعي، ثم تطور عبر التراث السوسيولوجي، حيث أصبح يعني خرقا للعادات والأعراف التي لا علاقة لها بمجال العمل، إذ أصبح هناك الاضراب عن دفع الضرائب، و الاضراب عن الطعام، و الاضراب عن الدراسة، والاضراب السياسي...وغيرها من الاضرابات".[3]

الاضراب السياسي: يعتبر الاضراب السياسي أعنف أنواع الاضرابات التي تقوم بها الجماهير "فهو الشكل الطبيعي الأول لكل نضال ثوري عظيم".[4]

و قد أدركت جبهة التحرير الوطني من اليوم الأول أن صراعها مع الاحتلال، قائم على كسب الجماهير في صفها، والاضراب أحد أهم الوسائل التي تبين انضمام الجماهير لصف الثورة، فالإضراب الجماهيري مجرد شكل للنضال الثوري العام.[5]

ولذلك عمدت جبهة التحرير الوطني إلى تأسيس نقابة عمالية تسير في فلكها في 24 فبراير 1956، وكان أول إضراب تعلنه هذه النقابة

هو اضراب يوم 05 جويلية 1956، الذي جاء متزامنا مع المؤتمر الدولي للكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة (CISL) Confédération internationale des syndicats libres الذي كان مقررا عقده في تونس بداية جويلية 1956 بوجود مرشحين اثنين، أحدهما مرشح USTA والآخر مرشح UGTA.[6]

بيد أن إدارة الاحتلال لم تعط أهمية كبيرة لهذا الإضراب، لأنه لم يكن صادرا عن جبهة التحرير الوطني، حتى وإن كان الاتحاد العام للعمال الجزائريين يسير في فلكها، لأن الإدارة أدركت أن هذا الإضراب استعراضيا اكثر منه مطلبيا، وأن القصد منه كان الانضمام للكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة، حيث قبل ممثلUGTA ولم يقبل ممثل USTA خلال اجتماع اللجنة التنفيذية في بروكسل من 02 إلى 09 جويلية 1956 .[7]

في حين كانت الاضرابات المعلنة من قبل جبهة التحرير الوطني، تقابل بوحشية كبيرة، لأنها كانت اضرابات سياسية، كما حدث في اضراب 28 جانفي 1957 المعلن بمناسبة انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة من 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957، وقد وزعت جبهة التحرير تعليمات بشأن هذا الإضراب، جاء في مقدمتها: " بمناسبة النقاش في جمعية الأمم المتحدة حول المسألة الجزائرية، من الضروري أن الشعب الجزائري يعبر بإجماع عن إرادته في التحرر والاستقلال".[8]

مهنة الدواكرة: هي مهنة من المهن الشاقة، يقوم فيها العامل بتحميل أو تفريغ السفن، فمنذ ظهور السفن التجارية، صاحبته هذه المهنة، وكلمة "دواكرة" مأخوذة من اللفظ الانجليزي (dock) ويعني

الحوض، أو حوض السفن، ثم استعمل اللفظ للدلالة على العمال الذين يقومون بتفريغ السفن.[9]

و يقابل لفظ "الدواكرة" في اللغة الفرنسية مجموعة ألفاظ، مثل: (brouettiers، débardeurs، arrimeurs، chargeurs، déchargeurs).[10] وفي اللغة العربية، نستعمل كلمة "حمّال" إلا أن اللفظة عامة في كل الحمالين، في الأسواق والمرافئ و غيرها، أما كلمة "دوكار" فلا تعني إلا "الحمّال" في المرافئ.

وكانت مهنة "الدواكرة" في عهد الاحتلال الفرنسي من المهن اليومية، أي أن العامل يخرج باكرا ليصل إلى الميناء، وينتظر ليظفر بعمل يوم شاق، حيث يتقاضى أجره ويمضي، و في الغد بنفس الكيفية، ثم عرفت المهنة تطورا ملحوظا من خلال النضالات النقابية، فأصبح الدواكرة يظفرون بعقود جزئية (مؤقتة) و أصبح بعضهم عمالا دائمين. وقد استمرت هذه النضالات النقابية للدفاع عن العقود الشهرية المقترحة من قبل الدولة، وعن الحماية ضد البطالة، وعن الأجر المريح.[11]

كان الدواكرة الجزائريون كغيرهم من العمال، يشاركون في النضال العمالي كما يشاركون في النضال السياسي، خاصة في الفترة الممتدة بين 1962/1954، و قد شكّل ميناء سكيكدة في 30 سبتمبر 1961 صورة ناصعة لهذا النضال، حيث شهد اضرابا لمدة يومين، وقف فيه الدواكرة الجزائريون لمواجهة جرائم الاحتلال الفرنسي في حق الجزائريين. فما هي الأسباب المباشرة لهذا الاضراب؟

اعتداء على الحي الاسلامي بمدينة سكيكدة بالقنابل اليدوية: في ليلة 28 سبتمبر 1961 حوالي الساعة العاشرة مساء، اعتدى مجهولون بالقنابل اليدوية على الحي الاسلامي (Cité des indigènes) الواقع جنوب غرب المكان المسمى (Faubourg de L'espérance)، وقد أدى هذا الاعتداء إلى استشهاد أحد السكان (سقوط ضحية).[12]

وفي تقرير شرطة الاستعلامات العامة، فإن الاعتداء كان جماعيا، حيث ألقيت ثلاث قنابل يدوية على الحي السكني، قتل فيها المدعو "رمتم الطاهر" (REMTEM Tahar) وأصيبت أمه بجراج خطيرة.[13]

أما في تقرير الأمن العام، فإن اسم الضحية هو "رميتن الطاهر بن صالح" (RMITHENE Tahar ben Salah)[14].

مسيرة سكان الحي يوم 1961/09/29 ردا على الاعتداء: أعلن عن دفن الشهيد بالمقبرة الاسلامية المقابلة للحي الذي تعرض للاعتداء، على الساعة الرابعة عشر مساء يوم 1961/09/29،[15] أي بعد صلاة الجمعة. وعلى الساعة الواحدة، حمل الجثمان على نقالة، وبدلا من التوجه إلى المقبرة، توجه المشيعون نحو مركز المدينة، كان العدد في بداية التحرك حوالي ستين مشيعا، ثم بدأ يزداد العدد حتى وصل قرابة ستمائة رجل، فقد تحول الموكب من تشييع جنازة إلى مظاهرة.[16]

انطلق الموكب من الحي الاسلامي نحو الطريق الوطني رقم 03 (Route Faubourg de L'espérance) مرورا بالساحة المسماة (Place Wagram) أين يوجد "الجمال"، وقبل الوصول إلى شارع (G. Clémenceau) بحوالي مائة متر، اصطدم الموكب بوحدة عسكرية،

يتعلق الأمر بفرقة "الحركى" (C.R.A) Centre de Renseignements et d'actionبقيادة العريف الأول "LFEVRE Raoul ، ومساعدة مفتش الشرطة العمومية " ERARZO, Paul" وضابط الشرطة ,RAUNIER» « Roger و كلاهما منتدب في هذه الفرقة.[17]

كانت الفرقة العسكرية للحركى مرابضه في الثكنة المسماة (Mangin)، وقد تأهبوا للمواجهة في الشارع المسمى (DE Gourgas) وقبل وصول الموكب بعشرات الأمتار، أطلق الجنود النار على الموكب، مدعين أن طلقات نار أطلقت من داخل الموكب، وأن العساكر ردوا عليهم بالمثل. وقد أسفر اطلاق النار على الموكب عن سقوط أربع شهداء و أربعة عشر جريحا في حالة الخطر، حملوا إلى المستشفى، دون حساب الاصابات الخفيفة التي رفض أصحابها الانتقال إلى المستشفى.[18]

أسماء الشهداء (القتلى):[19]

الرقم	الاسم واللقب	تاريخ ومكان الميلاد	ابن	العنوان
1	بونوار مولود	1942/04/01 بسكيكدة	ابن علي وبونوار صفية	Rue d'Aumale
2	موسى بن مرايس	1944/03/06 بسكيكدة	ابن محمد والعلمي مباركة	الحي الاسلامي
3	قويسم رشيد	1940/11/20 بمجاز الدشيش	ابن السبتي و طبوش زبيدة	/
4	حسين فاس	1951/09/14 بسكيكدة	بن احمد والعلمي ساسية	/

أسماء الجرحى:[20]

الرقم	الاسم واللقب	تاريخ ومكان الميلاد	ابن	العنوان
1	حسين رقيق	1944/06/25 بسكيكدة	ابن المداني و باري زوينة	Cité les Mélias
2	عمار خميس	1944 بسكيكدة	ابن ابراهيم و ساعد روانة ثلجة	الحي الاسلامي
3	مختار بلعشية	20 سنة بالقل	ابن محمد و بلعشية فاطمة	Faubourg
4	جراب عبد الوهاب	1943/10/11 سكيكدة	ابن مسعود ومقلي لويزة	Faubourg
5	مغلاوي فنازي	1945/05/08	ابن بوزيد و بومهرة يمينة	Faubourg
6	صالح دادي سيستة	1947/11/18 سكيكدة	ابن محمد و بكوش الزهرة	Rue Tissot
7	علي العلمي	1933 برمضان جمال	ابن رابح وشقاط خدوجة	Stora
8	كمال كيبش	10 سنوات	ابن اسماعين وكيبش الزهرة	Faubourg
9	حسين قاس	17 سنة	ابن رابح و بوهالية يمينة	الحي الاسلامي
10	هاشمي بوغاغة	30 سنة بزقار	ابن صالح وبوكيوة الزهرة	Mamelon Négrier
11	محمد بوحوش	1934/06/06 بزيغود يوسف	ابن احمد و بوشريط وناسى	Rue de l'Artillerie
12	فاطمة بوغليتة	10 سنوات سكيكدة	ابنة عزيز و ديبون مسعودة	الحي الاسلامي
13	شلي وريدة	1949/01/24 سكيكدة	ابنة الحسين و شريط عائشة	Mamelon Négrier
14	العيد بوحجور	1944/02/17 بقسنطينة	/	/

إضراب عمال الميناء ردا على جريمة الاحتلال: تبعا للجريمة التي اقترفتها قوات الاحتلال يوم الجمعة 29 سبتمبر 1961، أعلن عمال الميناء اضرابا لمدة يومين، السبت 30 سبتمبر و يوم الأحد 01 أكتوبر

1961. تضامنا مع أهالي الشهداء، و وقوفا في وجه جرائم الاحتلال، وقد أخبر تقرير شرطة الحدود، أن الأشغال المستعجلة في الميناء، خاصة الهبوط والصعود للباخرة " جبل ديرة" للمؤسسة المختلطة، المؤجرة من قبل الجيش، قد ضمنت من طرف العمال الأوربيين وبعض الدواكرة المؤقتين من المسلمين.[21]

توسع الاضراب ليشمل مختلف العمال والتجار، فقد أغلق بعض التجار محلاتهم بداية من أمسية الجمعة 29 سبتمبر، وفي الصبيحة مس الاضراب كل عمال الطرقات (le Service de la Voirie) من المسلمين بنسبة مائة بالمائة، كما كان عاما في قطاع الصناعة و البناء.[22]

وفي يوم الأحد مساء بدأت بعض المحلات تفتح أبوابها في المدينة، بعد أن فرغ الناس من دفن الشهداء في الصبيحة، أما عمال الميناء فقد استمر اضرابهم إلى غاية يوم الاثنين صباحا، حيث توجهوا العادة إلى مقر عملهم، لكنهم فوجئوا بإضراب الدواكرة الأوربيين.[23]

إضراب الدواكرة الأوربيين يوم 1961/10/02: في صبيحة يوم الاثنين 02 أكتوبر أعلن عمال الميناء من الأوربيين عن اضراب تضامنا مع اثنين من زملائهم اعتقلوا يوم 28 سبتمبر بتهمة الانضمام إلى مسيرة غير مرخصة.[24]

وذكر تقرير الشرطة أن المسيرة كانت من تنظيم (L'OAS)، حيث جرت هذه المسيرة في اليوم الذي تم فيه الاعتداء على الحي الاسلامي بالقنابل اليدوية، واستشهد "الطاهر رميتن" و أصيبت والدته. مما يبين أن الاعتداء كان على أيدي (L'OAS)، وهي الفترة التي نشط فيها هذا التنظيم في بعض المدن ذات الثقل الأوربي. كما يذكر التقرير

أن مسؤولي الميناء طلبوا من العمال المسلمين التوجه إلى بيوتهم تفاديا لأية مواجهة محتملة، وأن الأوربيين استأنفوا العمل على الساعة الخامسة عشر والنصف مساء.[25]

خاتمة: في يوم 03 أكتوبر 1961 قدم العاملان الأوربيان للمحاكمة، حيث حكم عليهما بشهرين سجن مع وقف التنفيذ.[26] أما مقتل الجزائري و إصابة والدته، فقد فتح الدرك الفرنسي تحقيقا لم يأت ذكره في الوثائق التي بين أيدينا، و مما لا شك فيه، أن أفراد الفرقة العسكرية لم يتم التحقيق معهم، لأن كل التقارير التي اطلعنا عليها، تذكر أن الفرقة العسكرية دافعت عن نفسها في مواجهة اطلاق النار، وفي مواجهة القنبلة اليدوية التي أطلقت من وسط المتظاهرين.[27]

وقد جاءت هذه التقارير مختلفة، حيث يذكر بعضها أن الذي أطلق النار شخص واحد، وتذكر أخرى أن عدة أشخاص أطلقوا النار، كما تذكر بعضها إلقاء قنبلة يدوية، ولا تذكرها التقارير الأخرى، مما يعطي دلالة أنه مجرد مبرر للجريمة، وأن الموكب الجنائزي كان مسيرة سلمية، ولو أرادوا إطلاق النار، فالفدائيون سينفذون ذلك في أوقات مختلفة في قلب المدينة، دون أن يعرّضوا المدنيين المشيعين للخطر.

كما نسجل أن الحركة العمالية بمختلف قطاعاتها، كانت حاضرة في الموقف، خاصة عمال الميناء الذين تقتات أسرهم من عملهم اليومي، فقد ضحوا بيومين اضافة لليوم الثالث، الذي حرموا من الكسب فيه بسبب اضراب نشطاء (L'OAS).

إن الحركة العمالية جزء أصيل من الشعب الجزائري، مثل الحركة الطلابية، و مثل التجار، كانت تمثل رافدا أساسيا من روافد النضال والجهاد من أجل القضية الوطنية، وقد تجلى ذلك من خلال عشرات الحركات الاحتجاجية، بشقيها المطلبي والسياسي، وحري بهذا النشاط أن يسجل بمداد من ذهب.

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 10 العدد 01 السنة 2009 ص ص 115-127

ملحق مخطط الموكب الجنائزي وجريمة الاحتلال

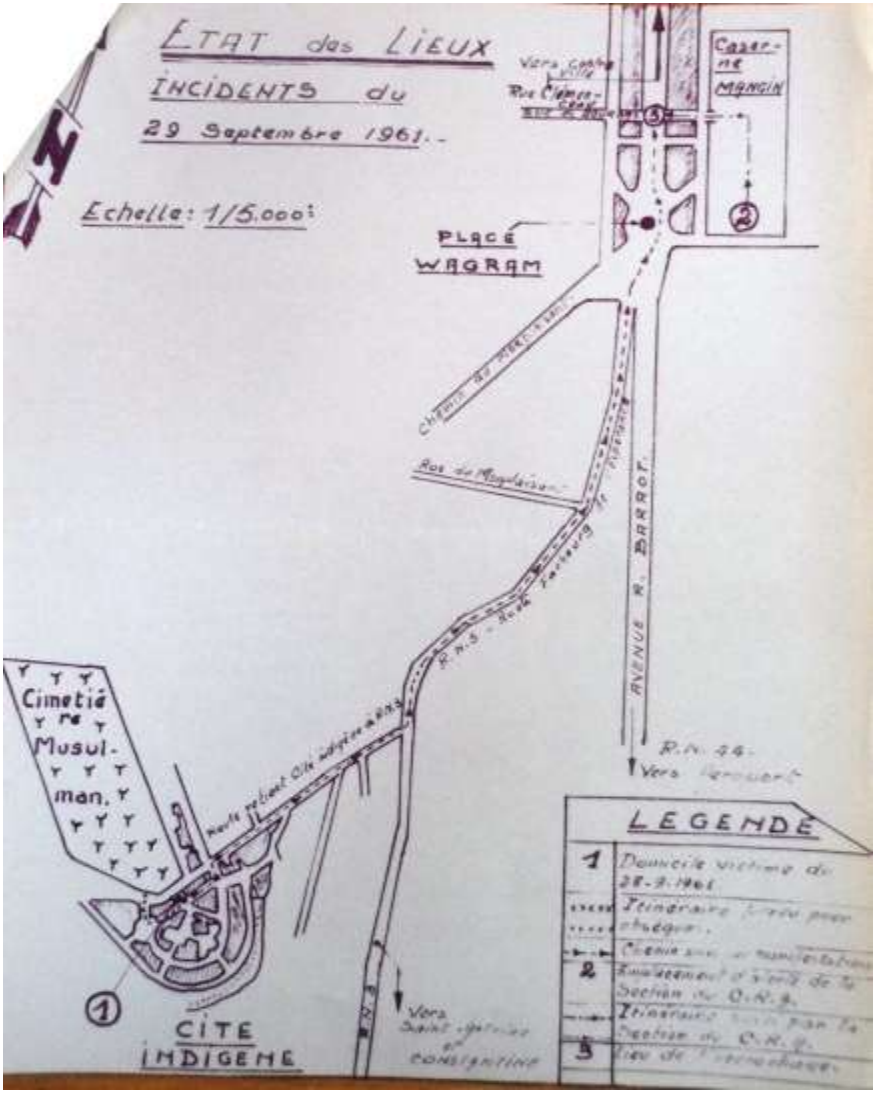

المصدر: ANOM, FR. 93/4351

الهوامش:

[1]. الطاهر بلعيور، **الاضرابات العمالية في الجزائر – رؤية سوسيولوجية-** ، في: مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 06 السنة 12،ص .168

[2]. نفسه.

[3]. نفسه.

[4]. نفسه.

[5]. روزا لوكسمبورغ، **الاضراب الجماهيري والحزب السياسي والنقابات**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 بيروت، 1970، ص 37.

[6]. Boualam Bourouiba, **les syndicalistes Algériens – leur combat de l'éveil à la libération, 1936/1962**, Ed L'Harmattan, Paris 1998, p 03.

[7]. Benjama Stora, **L'unions des Syndicalistes des travailleurs Algériens USTA**, in: le Mouvement Sociale n: 116 juillet-septembre 1981, p 104.

[8]. ANOM, FR. 93/159, **Rapport** du P.J du Constantine n: 904, du 22/01/1957, sur des Documents saisie le 14/01/1957, p 02.

[9]. Michel Pigenet**, les Dockers- Retour sur le long processus de construction d'une identité collective en France, XIXe-XXe siècles**, in : Genèses n : 42, p 06.

[10]. Ibid.

[11]. Ibid, p 25.

[12]. ANOM, FR. 93/4351, **Rapport** n : 853, du Capitaine VILLMAN, Comandant la Compagnie de la gendarmerie de Philippeville, le 16 octobre 1961.

[13]. ANOM, FR. 93/4351, **Rapport** n : 957 ROP/INF, du P.R.G de Philippeville, le 29/09/1961.

[14]. ANOM, FR. 93/4351, **Rapport** n : 13.024, du Commissaire Divisionnaire CROS Raymond, Commissaire centrale chef de la circonscription de Sécurité publique – Philippeville, le 29 octobre 1961.

[15]. Ibid.
[16]. ANOM, FR. 93/4351, **Rapport** n: 853, op, cit, p 02.
[17]. Ibid.
[18]. ANOM, FR. 93/4351, **Rapport** n : 957, op, cit, p 02.
[19]. ANOM, FR. 93/4351, **Rapport** n : 13.024, op, cit, p 02.
[20]. Ibid.
[21]. ANOM, FR. 93/4351,**Note d'information** n : 172 sc/paf, du L'Officier de Police CAUCAL André, chef de l'Antenne de la Police de l'Air et des Frontières de Philippeville, de 04 octobre 1961.
[22]. ANOM, FR. 93/4351, **Rapport** n : 853, op, cit, p 03.
[23]. ANOM, FR. 93/4351,**Note d'information** n : 172, op, cit, p 01.
[24]. Ibid.
[25]. Ibid.
[26]. Ibid, p 02.
[27]. ANOM, FR. 93/4351, **Rapport** n : 853, op, cit, p 03, ANOM, FR. 93/4351, **Rapport** n : 13.024, op, cit, p 02, . ANOM, FR. 93/4351, **Rapport** n : 957, op, cit, p 02.